فن التجميـــل

للآنسة زينب الحكيم

التطور سنة الحياة ، ومعناه النمو التدرجي والتكشف ، ومعناه أيضاً نشوء الأشكال العليا من الدنيا في الحياة كما يقول القاموس

إذن نفهم من هذا أن كل شيء حي ، وأي شيء يمت لذلك الحي بأدنى صلة، يسري عليه ناموس التطور التدرجي في الحياة . ومن غير الضروري أن نثبت منطقياً أو علمياً سلسلة تطور الإنسان مثلاً من عصور ما قبل التاريخ إلى البربرية الأولى فالثانية فالثالثة ، ولا أن نعدد الأطوار التي قطعها حتى وصل إلى ما هو عليه الآن. فلسنا في حاجة إلى ذلك في هذا المجال . إن هذه أشياء مقطوع بصحتها على الأقل من ناحيـة التدرج النشوئي الذي استغرق آلاف السنين

إنما الذي يعنينا هو أن نوضح أن الحياة في مختلف نواحيها تخضع للناموس ذاته ؛ فكلما تطورت حالة الإنسان اختلفت بيئته وتغيرت طرقه ووسائل معيشته من تجارة وصناعة، وعادات ونظم، وتعاليم ومبادئ ، وعلوم وفنون وغير ذلك

وفن التجميل ولو أنه يبدو فناً كمالياً ، فإنه في الواقع فن ضرورة ولزوم إذا أخذنا بالمبدأ القائل بـذاجة الطبيعة وأنها جرداء قاحلة ما لم نضف عليها من رائع خيالنا وبديع تصويرنا

فإذا وضحت النظرية الآن ، وصح تطبيقها على الجمادات والعجماوات ، فمن الضروري لزومها للكائن المفكر الذي يسوقه تفكيره إلى بلوغ أقصى درجات الكمال في كل شيء . ولا جناح عليه إذا لحظ أنه يعمل للارتقاء في جهات قبل أخرى ، أو إذا تباينت درجات ذلك التطور ، فهذه سنة الحياة ونظام تكوينها

وفن التجميل على هذا الأساس من أعرق الفنون وأكثرها حركة وأشدها اقتحاماً . فالكوخ لم يبق ذلك الشكل الساذج ، بل تحول وتحور حتى صار بيتاً ، والبيت تطور وتطور على أشكال وأنماط ...

زينة امرأة في القرن السادس عشر

والقدر لم يبق ذلك الإناء الضروري لحمل الماء أو غليه ، وإنما تطور فتحور وهذب ، واختلف أنواعاً وأشكالاً ، ونقش تارة ، ولُوّن وزركش أخرى

وكذلك الناس تطوروا، ولم تعد المرأة تلك البربرية التي كانت تحمل نفسها الأحجار وقطع المعادن الثقيلة للتزين مثلا ، وإنما تطورت زينتها إلى ما هو ألطف وأجمل

لهذا نقول : إن فن التجميل في كل العصور بالنسبة للمرأة

فى الشرق والغرب ، يتغير مثله الأعلى بالنسبة لدرجة تطورها ، وإن اتفقت بعض مظاهره فى أشياء

فمثلاً من زمن بعيد كانت منضدة التزين هى المرآة التى انعكس عليها نشاط المرأة . وقد وجد المنقبون فى بلاد آشور ، وفى مصر ، مناضد للزينة تكاد تكون محملة بضروب من وسائل الزينة ، كما قد يرى على أفخم مناضد التزين اليوم فى البيوت ، وفى محال التجميل العامة

والتاريخ يبرهن ، مع الأسف أو مع الغبطة ، على أن الجمال لم يكن طبيعياً أبداً (وهذا يتفق مع النظرية التى أشرنا إليها فى أول هـذا المقال) ثم قرر العقـل البشرى إثبات ذلك فى الشرق

ويستعمل الروائح العطرية القوية التى تضعف من أعصاب نساء الشرق البدينات فتزيدها وهناً على وهنها ، وبالجملة فإن نساء الشرق لا يحسن استعمال وسائل تزين الغربيات ، وكثيراً ما يخطئن فى تطبيقها العملى ، ويخلطن بينها مما يؤذى أجسامهن ويسىء إلى أخلاقهن بوضعهن الأشياء فى غير موضعها

كل ذلك لجهلهن تراكيبها ، وعدم دراستهن لأنفسهن بحيث يعرفن ما يلزم لهن ، وكذلك لعدم استعمالهن مبتكرات بلادهن ، التى تكون وليدة حاجاتهن ، وما يتناسب مع طبيعتهن

إن غفلتهن عن التعليل المنطقى تجعلهن مقلدات مسرفات

زنجيات أمريكا يجملن أظافرهن وأيديهن بصالونات التجميل العامة

والغرب ، بدليل ما اتخذه الناس من وسائل للتجميل ، ومن تحايل لأسبابه انتفعت به النساء بوجه خاص ؛ وإذا اختلفت وجهات النظر فى ذلك ، فإنما تختلف من حيث التقدم فى التطور لا من حيث المبدأ

فى الغرب اخترعت محسنات البشرة ولون الوجه وفق أسس فنية وعلمية . أما الشرق فقانع بهذه النتائج غير المتقنة ، التى يمكنه الحصول عليها من أنواع الكريم والحناء ، والكحل الأزرق الذى تكحل به الجفون من الداخل ، فيحدث تهيجاً فى العين يسبب ملأها بالدموع ، ويجعلها شديدة اللمعان ، ويعتبر ذلك من الجمال ، وهو خطأ مضر بالعين

فى التقليد ، فكثيرات منهن قلدن ومازلن يقلدن النجمة السينمائية فلانة ، والممثلة المسرحية علانة ، وغاب عنهن أن زينة الفتاة الممثلة على المسرح أو السينما ، لا يمكن أن تجعلها جميلة أو متزينة بالمعنى الذى يقصد من التزين ، لأن المقادير الهائلة التى تصبغ بها وجهها ، إنما يقصد بها أولاً أن تساعد على إظهارها بوضوح على المسرح الشديد الضوء ، أو أمام أنوار التقاط الأفلام السينمائية ، كيلا تظهر شاحبة ذابلة ، غامضة الملامح إذا ما سطعت عليها تلك الأنوار القوية .

والصورة البشعة ، التى تراها هنا وفى كل مكان من العمورة

بوجوه النساء ، إنما تدل على الجهل الذى تحمل المرأة عنوانه على أبرز جزء فيها ، مما ينفر من مزاولة فن التجميل الذى يعتبر من أرق الفنون وأعرقها .

لو عاشت جدتنا لتسمع ما نقوله اليوم عن التزين ، ولو رأت بعينى رأسها حال وجوه السيدات اليوم ، لذهلت وطار لبها ، لأنه ما كان يستعمل للتزين فى أيامهـا إلا أنواع من الصابون الصحى غير المهيج للبشرة كصابون القطران والكبريت الممتازين .

بينما كان الرجال فى ذلك الزمن ، يوخون رجولتهم بنحو قدم أو أكثر من لحية مربعة مهذبة حول ذقونهم .

أما وسائل التزين التى يعلن عنها بلا انقطاع فى جميع المجلات النسائية وغيرها الآن ، أو ما يسمع عن علاجات البشرة المختلفة وما شابه ذلك ، فكان غير مألوف ، ولم يطق سماعه أو السماح باستعماله السواد الأعظم من الناس فى القرن التاسع عشر

وقد اعتبر استعمال الدهون وأصباغ الوجه — من أحمر وذرور وغيرهما — من الجرائم الخلقية ، والغواية فى المجتمع ، واعتبر استخدام أصباغ الشفتين وتزجيج الحواجب من علامات الانحراف ، ومنتهى التبجح ، بل دليل الفساد والشر

لهذا طالما انتهرت الجدة العزيزة بناتهـا إذا ارتابت فى حمرة وجنتى إحداهن ، أو إذا هى صففت شعرها بأداة التجميد المحماة . ولعمرى ما عساها كانت تفعل الآن ، إذا رأت بعض الفتيات المتطرفات ، اللائى ينمين أظافرهن حتى تصير كمخالب الحدأة ، أو يلبسن أحذية طول كعوبها أربع بوصات أو خمس؟! من غير شك كانت تثور وتفور ولها الحق ، وليست معارضتها فى هذه الحالات وأشباهها مما تؤاخذ عليه ، والشىء إن زاد عن حده انقلب إلى ضده

وفى الواقع ، لا يوجد شىء تطور فى العالم بسرعة مثـل ما تطورت وسائل الزينة وطرق استعمالها

وأصبح استخدامها باعتدال وفن من التقاليد المرعية والعادات المقبولة .

فالسيدة التى تظهر بأظافر غير معتنى بهـا مثلاً ، أو بشعر لا تظهر عليه دلائل العناية والتهذيب والتجميل ، أو بوجه شائه وكان فى استطاعة صاحبته أن تقلل من شوهه ، تعتبر خارجة على التقاليد ، مقصرة فى حق نفسها ، وفى حقوق المجتمع . وهل هذا العصر إلا عصر تجدد ونشوء ؟ !

لهـذه الاعتبارات من جهة ، ولإسراف السيدات وبعض الرجال فى التزين الخاطئ من جهة أخرى ، ارتفعت تكاليف التزين جداً ، بحيث أصبح ما ينفق على وسائله من نقود مقادير لا تصدق بسهولة لو لم تثبت صحتها الإحصاءات الرسمية

فتاة بنغولية فى كامل زينتها

لقـد قدر الآن فى الولايات المتحدة أن المرأة تنفق ثلاثمائة مليون جنيه فى السنة على معالجة التجميل ، والدهون من كل نوع . وقد قسم الإحصائيون هذا المبلغ الضخم بين أصباغ الشفاه ، وأصباغ الوجنتين والذرور ، ودهانات تغذية بشرة الوجه والكريم بأنواعه ، وأصباغ الحواجب والأهداب ، ودهونات الشعر وغير ذلك

أما فى انجلترا ، فإن أرقام ما ينفق على هـذه الأشياء ليست إلى هذا الحد من الغلو ، والمصاريف فى انجلترا على التجميل خمسون مليوناً من الجنيهات ، أو ربما كانت ٧٠٠٠٠٠٠٠ جنيه

أما فى مصر ، فليست لدينا إحصائيات يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد ، ولا بد أن يكون الإنفاق فى منتهى الإسراف ، لأن مصر سوق دولية ، والعرض كثير والمهارة فى التصريف ممتازة ، والعقول ساذجة ، والإرادة ضعيفة فى أغلب الحالات

كثيراً ما ألحظ وأنا أشترى شيئاً من الصيدلية ، أو من متاجر الأدوية ، سيدات يستغلهن مهرة الباعة فيها استغلالاً سيئاً ،

وكثيرات من السيدات يفوضن أمرهن للبائعة الثقة ، أو البائع ذى الحيلة لينصحا لهن بما يشترين، مما يكون أقوى أثراً فى زينتهن

ولنا أن نتصور أى نوع وأية كمية من البضاعة يبتاع هؤلاء السيدات!

المرأة التركية الحديثة أمام مرآتها

أما الحالة فى العراق ، فإنه ولو لم أعثر فيه أيضاً على إحصائيات يستدل منها على مقدار ما تنفقه السيدات هناك على التجميل ، فإنى بما شهدته من تهافت المرأة ، وطنية وأجنبية ، على الأصباغ والدهون والعطور، والتغالى فى عمل التواليت بوجوههن وأيديهن بل وأرجلهن ، باستعمال أجود أنواع الزينة وأغلاها ثمناً ، أستطيع أن أقول إن المبالغ التى يصرفنها حتما تكون ضخمة .

ويأتى بعد سيدات العراق السيدات اللبنانيات

أما السوريات (وعلى الأخص الرشيقات) فكثرتهن لا يحسن استعمال هذه الأشياء ، ولا يسرفن فيها

والسورية العادية لها طرق تزين أهلية ، فتستعمل أنواعاً من تربة أرض بلادها وأعشابها ، وتستعمل أنواعاً من الصابون من صناعات حلب ، وبالضرورة قد تحتوى هذه الأشياء أنواعاً من العناصر الضارة التى تتلف الأجزاء التى توضع فوقها من الجسم ، ولكن المرأة لا تبالى كثيراً بذلك لجهلها من جهة ولشدة اقتصادها من جهة أخرى، ولا تستطيع أن تدرك أنها تسرف من حيث تقتصد

أما المرأة التركية فتسرف فى استعمال وسائل الزينة ولكنها تتزين بفن وحسن ذوق

والمرأة اليونانية الحديثة قد سبق لنا ذكر شىء عن زينتها ، والأغلب عليها الاعتدال والبساطة فى التجميل وفى التفقات

أما المرأة اليوجسلافية ، فأشد نساء أوربا الحديثة تطرفاً ، ولكن بحسن تصرف وإتقان ، ويغلب عليها الإسراف الشديد .

والنساء الفرنسيات لهن شهرة معروفة عالمية فى فن التجميل ، ومع إسرافهن الشديد فى عمل التواليت ، وإنفاق الكثير جداً على أسبابه ، فإنه مشهود لهن بالدقة والصنعة وحسن التصرف .

أما المرأة الألمانية ، فتكاد تكون مسترجلة فى هذا الصدد ، والتزين الصناعى قليل عندهن ، ولذلك فكثرتهن يعانين حياة سقيمة مع أزواجهن، ومن العجيب أن العلم وحده لا يفيد كثيراً فى الحياة ، فإنه بقدر ما تمتاز به المرأة الألمانية من علم وثقافة ، وتفرغ لفن الأسرة ، بقدر ما يتعلل الرجل عليها . وهى تكلف نفسها فوق ما تحتمل النهوض به من مسئوليات الحياة العملية ، فتهرم قبل أوانها ، ولا تحاول كثيراً أن تخفى هذه المظاهر بعمل التواليت .

هذه إلمامة سريعة بفن التجميل بالنسبة للمرأة فى العصر الحاضر، فهل كانت وسائله قديماً مشابهة لما تستخدمه الآن؟ هذا ما سنطالعه فى الأسبوع القادم إن شاء الله .

زينب الحكيم

صور اســـلامية

قطعة من التاريخ تنتفض حياة ، وتنطق صدقاً ، ومرآة مجلوة تنعكس فيها صور صحابة الرسول فى حياتهم الخاصة وتزدان بآيات جهادهم ، ألفه :

الأستاذ عبد الحميد المشهدى

وجمع فيه بين حقائق التاريخ وروائع الفن القصصى . فأضحى كتاب لا يستغنى عنه مؤرخ ولا أديب . ولا يسد مكانه كتاب آخر .

صدر منه الجزء الأول والثانى ثمن الجزء الواحد خمسة قروش مع أجر البريد . يطلب من المكتبات الشهيرة ، ومن المؤلف بالدار رقم ١٨ شارع الشيخ عبد الله بمصر